

اسباب الحرب

بقلم الاديب المجيد محمد رفيق بك العظم الدمشقي

اسباب الحرب هي بواعثها الجوهرية وتنحصر في امرين الاول مجرد حب التغلب والثاني العداوة السابقة اما حب التغلب الذي هو ثمرة الطمع فانه ملكة تدفع صاحبها الى استجلاب المنفعة اليه بالخروج عن دائرة السكون الى براح الحركة طلباً للمزيد على ما لديه من القوة والسلطان والممالك والبلدان كما هو شأن المجتمع الدولي المنتظم من هيئة الدول العظام بخلاف الشعوب المتبربرة والامم المتوحشة ممن يؤثرون الرحلة على المقام فانما منفعتهم عبارة عن مجرد السلب والنهب اللذين هما مادة ارتزاق اولئك الاقوام .
ويمحسن ان نسمي الحرب الناشئة عن هذا السبب حرباً مجردة

واما العداوة السابقة فهي اما ان تكون ناشئة عن تعدي قديم بوجب ايفار الصدور حتى اذا جاء الوقت المناسب للانتقام وامكنت الفرصة استحال السكون الى حركة تضطر للنأب سعياً وراء الاخذ بالثار واسترجاعاً للحق المغتصب او الشرف المسلوب فان الانسان مطبوع على اباء الضيم والانفة من اعتزام الحقوق ومن هنا نشأت المخاصات والمنازعات التي كانت علة لوضع القوانين بين الناس . واما ان تكون منبئة عن حب الرئاسة والرغبة في الاستئثار بالمنفعة مما لا مصدر له الا الحسد الذميم الذي يتولد في عناصر الامم فيدعو الى البغضاء ويبعث على الشحنة ويهيج النفوس لحب ازالة النعم ويناسب ان تلقب الحرب المنبئة عن هذا السبب حرباً غير مجردة

فهذه هي اسباب الحروب المستمرة التي فطر الانسان على اثارها فحجراً

على ابناء نوعه بها الهلاك ودوام الارتباك فليته لم يكن شيئاً مذكوراً
ولما كانت الامة المحاربة لا تقدم على الحرب الا اذا تيقنت من
نفسها الفوز والغلبة على عدوها كان لا بد لها من قوة تستند عليها وتعول
في نوال النصر عليها . وتلك القوة تختلف باختلاف الدول والامم فانها اربعة
اقسام قوة المال وقوة الرجال وقوة الموقع الجغرافي وقوة المركز السياسي
فقوة المال مرجعها تقدم الامة في التجارة والصناعة والزراعة وما يتبع
ذلك من العلوم والفنون التي عليها مدار التقدم في الثروة والغنى . وقوة
الرجال مرجعها عمارة البلدان واتساعها ووفرة السكان وانتظام الجند وصبرهم
على تحمل مشاق الحروب ودربة القواد وامانتهم . وقوة الموقع الجغرافي
مرجعها اصل الانتخاب للنقطة التي تقيم بها الامة اما بالقصد واما بطريق
الصدفة . وقوة المركز السياسي مرجعها انضمام اطراف المملكة وخلوها من
الاضطرابات الداخلية وتوفير دواعي الامن والانتظام فيها واتفاق اهليها على
المصلحة الوطنية وان اختلفوا فيها طرقاً وانقسموا احزاباً وبقاً مع ما يلحق ذلك
من عدم طموح الدولة الى طاب الميزد على ما لديها من محافظة على مركزها ودفعاً
لاسباب العداوة مع سواها وقد ينضم الى مراجع هذه القوى الاخيرة كون
وجود الدولة في العالم السياسي فيه مصلحة لدولة او عدة دول ترى نفسها
مراعاة لمصلحتها مضطرة عند مسيس الحاجة للمدافعة عن تلك الدولة حسياً
او معنوياً

ولكل من هذه القوى الاربع دخل عظيم في الظفر والانتصار فاذا
اجتمعت لدى دولة كانت الى الربح اقرب منها الى الخسران والعكس

بالعكس ومثله ما اذا كانت الدولة ذات قوة جنديّة يسعها بواسطتها ان تحشد لساحة القتال عدداً عظيماً من الرجال فانها ان لم تكن مصدراً للقوة الماليّة متوفرة لديها فلن تستطيع القيام بمؤونة الجند الا بالتقدير او جلب المال من اوجه المظالم وذلك مما يفضي بدخايلتها الى الوهن والضعف بخلاف ما اذا اجتمع لديها قوتا الجند والمال مثلاً فانها تنفق عن سعة لشاغب بما يجعلها ترجح سواها

وعلاوة على ذلك فان لكل قوة من هذه القوى على انفرادها فعلاً خاصاً لا تنكر اهميته كقوة الموقع الجغرافي مثلاً فان المملكة التي تكون محصنة الجوانب بالمضائق البريّة والبحريّة بمنعة الاطراف لا يقدر العدو ان ياتيها الا من طريق واحدة ليست كالمملكة التي تكون متفرقة الاجزاء والقوة محاطة بالاجزاء وقس على ذلك بواقى القوات وفعالها بالنسبة لحال المتحاربين

ثم انا لو قابلنا بين الحروب القديمة والحديثة لوجدنا الحديثة اشدّ بلاءً واقوى خطراً وادعى الى الهلاك وان كانتا كلمتاها سبباً فيه فكمن من امم تلاشت ودول دخلت اخبار عظمها في خبر كان بما جنته عليها الحروب التي يسعى اليها الانسان مجداً في كل زمان كأنما نسي ان الحروب من اعظم مصائب النوع الانساني فاصبح عاملاً على حتفه بيديه يخترع لذلك الآلات المهلكة ويعدّ الممدّات التي لم تقف به عند حد معلوم بل كلما ترقى في المدنيّة درجة ترفت معه مثلها حتى كأن المدنيّة الحديثة عدوة للانسان اقامت عليه رقيباً يتأثره انّي ذهب وكيفما صعد حتى اذا اصاب

منه غرة الفاء من اعلى درجات المدنية الى مهاوي الهلاك وذلك بحكم
 القياس على من تولى من الامم القديمة التي ابادتها الحروب وذهبت بحضارتها
 وعمران ممالكها ايدي الغارات كالمصريين والفرس والرومان واليونان
 وغيرهم من الامم العظيمة التي كانت لها المنعة والسلطان
 فقد ذكر بعض المؤرخين ان اقدم دولة ربيت جيشاً خاضعاً لقوانين
 منظمة فرقت بها بينه وبين طبقات الناس دولة الفراعنة في مصر . واعظم
 من اعتنى من الفراعنة بالجيش وتنظيمها واحراز معدات الحروب هو
 رمسيس الثاني فان بعوثه وصلت الى ممالك الهند والبتار والاشوريين وغيرهم
 فلو تأملنا تدوينه معظم هذه الممالك لوجدناه بلا ريب اعظم قواد
 المصريين القدماء ومع هذا العظم وذلك الاقتدار وما وصلت اليه المدنية
 في تلك العصور كما تدل عليه الآثار الخالدة الى هذه الايام لم يكن
 السلاح اذ ذاك الا من السهام والفوس وسيوف النحاس ولم تكن الدروع
 الا من اللبد . وكذلك امة الفرس التي فاقت بنظامها الحربي من تقدمها
 من الامم لم يكن سلاحها الا كسلاح المصريين وقد ابادتهم جميعا الحروب
 وانت على مذنبهم الغارات حتى لم يبق لهم الا اثر يبصر او خبر يذكر
 ولا جرم فان عقول رجال العصور المتقدمة الاولى لم تتوصل الى اختراع
 آلات وابداع ادوات لاهلاك الانسان الضعيف اكثر مما ذكر فاذا يقال
 في شأن المدنية الجديدة الغربية وما هي عليه الآن من التقدم كيف يتفنن
 رجالها في اختراع الآلات الحربية المهلكة للانسان كالمدفع الرشاش
 والارمسترنغ والكروب والبندق السريع الطلق والبارود غير ذي الصوت

وغير ذى الدخان والتوريد والديناميت والمنطاد الحربي الى غير ذلك
من الاسباب التي تسد في وجه المدنية المذاهب وتفضي الى اضلالها
وصيرورة اهليتها اخباراً تحار عند ذكرها الاذهان

فلا ريب ان مضار هذه المدنية على النوع الانساني اكثر من نفعها بل
اي نفع يرجى من مدنية صيرت العالم على شفا جرف هار من البوار وفتحت
على الممالك افواه البنادق والمدافع كمن ينتظر اشارة لياهب الارض ومن
عليها بنيران الهلاك والتدمير

ولا عجب فالحرب اخت الانسان نشأت معه وتربت بين يديه فلما لم
يتق شرها انقلبت بالوبال عليه

ومن يجعل الصل الخبيث ربيبه ويأمل منه الخير بشره بالشر
وهل يرتجي ممن نشاطه الأذى سوى بثه سم الأذى والضرر
والحمد لله الذي جعل البلاد المصرية في مأمن واق من الحروب
وحصن حصين دون الكروب وجعل باسها عباسها فدفع له عنها كل محذور
فنسأل الله تعالى لمقامه العالي تأييداً واعزازاً حتى تصل به مصر الى معنى
التقدم الحق والكمال المطلوب امين

انتهى المولد الاحمدي الصغير وكان خفيفاً قليل الزوار بائراً بالتجارة لم
يرج فيه الا بعض الخمارات فان معظم اصحاب الاطيان باعوها اورهنوها ولم يبق
بيدهم ما يشترون بضاعة او يضيعون به شرفاً ومالاً ودينياً اما اصحاب الطرق
واهل الخير فكانوا على احسن ما يكون من الهدو والنظام والاشتغال بانواع
الطاعة والقربات ولنا في هذا الموضوع كلام نوجهه الى فرصة اخرى